الكونغرس الى حد لم يعد يخل فيه بتقديم الاعانات التي طلبتها وزارة الخارجية لمساعدة الحكومة الشرعية في لبنان .لقد تدهورت الحالة في لبنان اوائل حزيران ، الى حد انها وصلت عمليا الى حالة الحرب الاهلية . كانت الاذاعة والتلفزيون المصرية تساند المتمردين . شارل مالك ، سفير لبنان في الولايات المتحدة ، كان يطالب بمساندة مالية ضخمة . اما الرئيس كميل شمعون ، فكان يلح على السفارة الاميركية في بيروت ، في الحصول على امدادات حربية — كان يطالب باليأت ، ووصل به الامر الى طلب انزالها بالمظلات ويقال انه بعث حفيده وجواهر زوجته الى الخارج . رئيس وزرائه سامي الصلح ابلغ سفيرنا انه يرحب بانزال الجيش الاميركي في لبنان .

وعد الرئيس ايزنهاور ووزير الخارجية دالس، بان الولايات المتحدة لن تتخلى عن لبنان ، واصبح تطور الحالة هناك الشغل الشاغل لوزارة الخارجية.

وفجاة حصل الانفجار ، ليس في لبنان كما كان متوقعا . بل في بلد اخر في الشرق الاوسط، العراق ، حيث قتل الملك فيصل ، وابيدت عائلته بشكل بغيض في ١٤ تموز ١٩٥٨ من قبل مجموعة ضباط اعلنت حكومة ثورية ، واعلنت ان العراق هو « جزء من الامة العربية » .

طلب الرئيس شمعون التدخل الاميركي الفوري خوفا من المخاطر الجمة التي تهدد استقلال بلده، وتلقت الوحدات البحرية في اوروبا الموجودة تحت تصرف القيادة الاميركية امر الاستجابة لهذا الطلب .

كنت على علم بهذه الاحداث المفجعة ، لكنني مهتم بقضية مختلفة تماما في واشنطن : اذ ادى رفض وزارة الخارجية اعطاء جوازات سفر لبعض المواطنين الاميركيين الى استئناف امام المحاكم الفيدرالية . وكان اهتمام الوزارة كبيرا، في سبيل تشريع استثنائي في هذا المجال . كنت اعد ملفا كي اقدمه في جلسة عامة للجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ . جرت هذه الجلسة في ١٨ تموز ، في القاعة القديمة لمجلس القضاء الاعلى في الكابيتول . قاعة فسيحة تتسع للعديد من الصحفيين والفضوليين . لم اكد انتهي من القاء خطاب الافتتاح ، حتى اخبرت ان وزير الخارجية يتصل بي هاتفيا . اعلمني ان الرئيس ايزنهاور قرر ارسالي حالا الى لبنان . وطلب مني الاعتذار من الهيئة والمجيء الى وزارة الخارجية للتشاور قبل سفري . كان دالس ينتظرني في مكتبه حيث ابلغني انني عينت مستشارا للاميرال هولووي القائد العام للقوات الاميركية التي تنزل في هذا الوقت بالذات في لبنان. كان هذا التحرك العسكري الاتي استجابة لرغبة رئيس الدولة اللبنانية ، مبررا بسياسة الولايات المتحدة التقليدية : حماية مواطنيها المقيمين في الخارج و ... حماية مصالحنا . فالى جانب موظفي سفارتنا والموظفين الاخرين ، يعيش عدد كبير من الاميركيين في لبنان ، اكثريتهم من الاساتذة والمبشرين ورجال الاعمال . كما تجذب شواطىء بيروت الاميركيين المقيمين في الشرق الاوسط عددا كبيرا من السياح . قال لي دالس ان دوري يكمن اساسا ، في تنسيق تحركات قيادتنا العسكرية مع سفارتنا وباقي السلطات المدنية الاميركية.

بعد هذا الحديث السريع ، توجهت مع دالس الى البيت الابيض ، حيث عرض علينا الرئيس تفصيليا دوافع انزال رماة البحرية الاميركية في لبنان . كثيرا ما يقال في الشرق الاوسط وخاصة في مصر ان الاميركيين يتكلمون ولا يفعلون شيئا خوفا من ردات الفعل السوفياتية . اعتقد ايزنهاور انه ستلحق بنا خسارة معنوية لا تعوض اذا بقينا مكتوفي الايدي . كما اراد ان يبرهن على ان الولايات المتحدة مستعدة لمساعدة اصدقائها في كل وقت وكل ساعة . « علينا ان نقوم بعمل بناء ومطابق لشريعة الامم المتحدة . تحركنا شرعي . فلبنان هو البلد العربي الوحيد الذي وافق على مبدأ ايزنهاور ، فيحق له على الصعيد الدولي ان يستدعينا علنا » .

اعطاني الرئيس معلومات شفهية غامضة بطبيعة الحال . بالنتيجة ، اوصاني بمصالح الولايات المتحدة بعد انزال قواتنا .

اجبرتني هذه المهمة الجديدة كممثل شخصي